التطور الدلالي الناتج عن التطور الصرفي للكلمة في القرآن الكريم

الباحث/شعبان عبدالمنصف محمد سالم

باحث دكتوراه

الملخص:

إن التطور الدلالى إفراز منطقى للتطور الصرفى الذى أحدثه القرآن الكريم فى لغة العرب تبعاً للتحول اللغوى الناشئ عن التغيير الراديكالى فى عقيدة أهل قريش بعد إسلامهم، وخير برهان على ذلك الأمر شعر صدر الإسلام من ألفاظ ومعانى لم تكن مستعملة فى الجاهلية أمثال التقوى والصلاة بمعناها الفقهى وغيرها من الألفاظ الجديدة التى دخلت القاموس اللغوى لأهل قريش بعد إسلامهم وكانت ناتجة عن تطور صرفى.

وكانت وراء من التطور أسباب وعوامل متنوعة بين أسباب حضارية واجتماعية ولغوية (صرفية) وقد تضافرت لتفرز تطوراً دلاليا قائم على تطور صرفى حيث كانت غايته استبدال المنظومة المعرفية البعيدة عن سمو العقيدة بمنظومة حديثة تنهض على رقى المقصد الروحى من خلال اللغة المتطورة صرفياً ونحوياً.

وقد تجلى التطور الدلالى الناتج عن التطور الصرفى فى مسارات متباينة حيث وسع القرآن فى تطوره الدلالى ما كان ضيق كما فى لفظة (القائم) كما أن القرآن قد ضيق ما كان متسعاً مثل لفظة (المحراب) التى وقع لها التطور الصرفى بواسطة الإمالة فجعلها تدل على معنى جديد كما أنه نقل بعض الكلمات من مجال إلى أخر عن طريق الكناية مثلما حدث من تطور دلالى لمفردة (الغائط) والتى حدث لها إعلال بالقلب ولولى التطور الصرفى لما دلت على هذا المعنى الجديد.

الملخص باللغة الإنجليزية

The semantic development is a logical excretion of the morphological development brought about by the Holy Qur'an in the Arabic language in accordance with the

linguistic transformation that resulted from the radical change in the creed of the people of Quraysh after their conversion to Islam, and the best proof of that is the poetry of early Islam from words and meanings that were not used in the pre-Islamic era, such as piety and prayer in its jurisprudential sense and others. It is one of the new words that entered the linguistic dictionary of the people of Quraish after their conversion to Islam and was the result of a morphological development.

There were various reasons and factors behind the development, among cultural, social, and linguistic (morphological) reasons, which combined to produce a semantic development based on a morphological development, as its goal was to replace the knowledge system far from the supremacy of faith with a modern system that rises to the advancement of the spiritual purpose through the morphologically and grammatically developed language.

The semantic development resulting from the morphological development was manifested in different paths, as the Qur'an expanded in its semantic development what was narrow, as in the word (Al-Qa'im), and the Qur'an narrowed what was wide, such as the word (the mihrab), which the morphological development occurred by means of tilting, making it denote a meaning. It is new, as it transferred some words from one field to another by means of the

metonymy, as happened from the semantic development of the word (excrement), which had an eloquence in the heart, and if the morphological development took place, it indicated this new meaning.

مقدمة :-

أَن الثَّرَاء الدَّلَالِيّ لِلَّفْظ الْقُرْآنِيّ نَتيجَةٌ حَتْمِيَّةٌ لِلتَّطَوُّر الصَّرْفِيّ الَّذِي أَحْدَثَهُ الْقُرْآنِ الْكَرِيم فِي لُغَةِ الْعَرَبِ ؛ حَيْثُ وَقَعَ تَطَوَّر وَاسِعٌ فِي مَعَانِي الكَلِماتِ مِنْ عَصْرِ جَاهِلِيٌّ إِلَى عَصْرِ صَدَد الْإِسْلَامِ وَمَا تَبِعَهُ مِنْ عصور أَدَبِيَّةٌ.

ومبعث تَقْرِير هِذَا الرَّأْي هُو التَّحَوُّل الجذري الَّذِي وَجَدَهُ الْقُرْآنِ الْكَرِيم فِي لُغَةِ الْعَرَبِ فِي فَتْرَةٍ زمنية قَصِيرَة مِن الْجَاهِلِيّ إِلَى الْقُرْآنِ الْكَرِيم (أي في صدر الإسلام) وما تلاه من عصور أدبية حتى الآن، " **فَلَقَد تَحَرَّرَت كَثِيرٍ مِنْ الْأَلْفَاظِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ مَعَانِيهَا الْعَامَّة الْقَدِيمَة، فَأَصْبَحَت تَدُلُّ عَلَى مَعَانِي خَاصَّة تَتَّصِل بِالْعِبَادَات، وَالشَّعَائِر، وَشُئُون السِّيَاسِيَّة وَالْإِدَارَة وَالْحَرْب ومصطلحات العُلُومِ وَالفُنُونِ عَلَى حَدِّ قَوْلِ الدكتور "على عَبْدُ الْوَاحِدِ وافى"** [1].

وَقَدْ يَقُولُ الْبَعْض أَنَّهُ التَّغَيُّر الدَّلَالِيّ النَّاتِج عَن التَّطَوُّر الصَّرْفِيّ وَتِيرَتَه بَطِيئَة إِذَا مَا قورنه بِالتَّغَيُّر الصوتي، فَإِنَّنَا نَرُدّ عَلَيْهِم قَائِلِين أَنَّ الْحَاجَة الماسة إِلَى مُوَاكَبَة التَّحَوُّل اللغوي لحياة المسلمين الجديدة في المدينة المنورة ومن ثم جعلته سريعا إلى حد ما وعمليا فان الأمر اللغوي يستلزم الإسراع بإيقاع اللغة عبر وسائل صرفية مثل: الإعلال، والإبدال، وَالْقَلْب الْمَكَانِيّ، وَتَخْفِيف الْهَمْزَة، وَالْإِمَالَة، فَرَأَيْنَا تَبَعًا لِذَلِكَ مُتَلَقَّى الْقُرْآنِ الْكَرِيم فِي مَكَّةَ عَامَّةُ وَالْمَدِينَةُ الْمُنَوَّرَةُ خَاصَّة، وهو يتقبل هذا التغيير في بنية الكلمة التي أحداثها القرآن الكريم في صورة لفظ ثرى الدلالة، قابلا للتجديد والاستمرار :اتساعا، وتخصصا، وانتقالا فِي الدَّلَالَةِ لمسايرة هَذِه النَّقْلَة النَّوْعِيَّة لِلُّغَة فِي مَظَاهِر حياتيه جَدِيدَة، وَدَفْعًا لِحَالَة الْجُمُود اللُّغَوِيَّ الَّذِي كَانَ سَيَحْدُث –لا محالة– لَو ظَلَّت اللُّغَةِ كَمَا هِى فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِدُون تَطَوَّر صَرْفِي، وَمِنْ ثَمَّ دَلَّالِي لَهَا.

واتساقا مَعَ مَا سَبَقَ حَوْلُ طَبِيعَة الْعَلَاقَةِ بَيْنَ التَّحَوُّل اللُّغَوِيّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فَإِنَّ البَاحِث يَفْضُل اسْتِخْدَامٌ اصْطِلَاح التَّطَوُّر الدَّلَالِيّ لَا التَّغْيِير الدَّلَالِيّ لشيوعه مِنَ النَّاحِيَةِ اللُّغَوِيَّة، فَضْلًا عَنْ شُمُولِيَّةٌ التَّغْيِير لِكُلّ الْمُظَاهِر الدلالية ؛ فَهُوَ أَعَمُّ مِنْ التَّغَيُّرِ حَيْثُ إنَّ أَيَّ تَطَوَّر هُوَ تَغَيُّرُ وَلَيْسَ كُلُّ تَغَيُّرٍ هُوَ تَطَوَّر.

وَنَحْنُ فِي هَذِهِ الدِّرَاسَةَ نبقى عَلَى التَّطَوُّر بِوَضْعِه مصطلحات شَائِعًا بَيْن اللُّغَوِيّين.

وَمِنْ هَذَا الْمُنْطَلِق تَأْتَى دراستنا لِخَصَائِص التَّطَوُّر الدَّلَالِيّ الناجم عَنْ التّحَوّلِ الصَّرْفِيّ لِلْكَلِمَة فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَالْعَوَامِل الْكَامِنَة وَرَاءَ هَذَا التَّطَوُّر وَمَا تُفْرِزُه مِن تجليات لِلتَّطَوُّر الدَّلَالِيّ لِلْكَلِمَة فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ اتِّسَاعًا فِي الدَّلَالَةِ أَوْ تَخْصِيصًا، أَو انْتِقَالًا مِنْ مَعْنَى إِلَى آخِرِ، وَمُحَاوِرٌ هذه الدراسة تَسْتَهْدِف إبْرَاز الإيحاءات الدلالية المتطورة والنابعة عَن التَّطَوُّر الصَّرْفِيّ وَآثَرَهَا فِي السِّيَاقِ اللُّغَوِيّ الْوَارِدَةُ فِيهِ هَذِهِ الصِّيغَةَ المتطورة دلاليا.

المحور الأول : خصائص التطور الدلالي للقرآن

قبل أن نعرض لخصائص التطور الدلالي القرآني ينبغى ان نفرق بين التطور الدلالي الحاصل في النص القرآني، ". **والتَّطَوُّر الدَّلَالِيّ الَّذِي حَصَلَ مَا بَعْدَ النَّصّ الْقُرْآنِيّ؛ أَيْ مِنْ كَلَامِ الرَّسُولِ الْأَعْظَم (ρ)أَو الْأَئِمَّةِ أَوْ مِنْ كَلَامِ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ لفترات طَوِيلَةٍ مِنْ الْبَحْثِ وَالِاجْتِهَاد؛ حَتَّى تَطَوَّرَت بَعْضِ الْأَلْفَاظِ، وَدَخَلَت الْفِكْر الْإِسْلَامِيّ، وَرُبَّمَا أَصْبَحْت حَقِيقَة، وَلَمْ تُرِدْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِهَذَا التَّطَوُّر، وَمِنْ ثَمَّ نَسْتَطِيع التَّفْرِقَةِ بَيْنَ التَّطَوُّر بِالنَّصّ، والتَّطَوُّر مَا بَعْدَ النَّصّ، وَالَّذِي يَجْمَعُ بَيْنَ هَذَيْنِ النَّوْعَيْنِ هُو التَّطَوُّر الدَّلَالِيّ الشَّرْعِيّ**"(٢)

وَنَحْنُ فِي هَذِهِ الدِّرَاسَةَ نبقى عَلَى التَّطَوُّر بِوَضْعِه مصطلحات شَائِعًا بَيْن اللُّغَوِيّين.

وَمِنْ أَمْثِلَةِ التَّطَوُّر الدَّلَالِيّ مَا بَعْدَ النَّصّ الْقُرْآنِيّ؛ فألفاظ الْمَذَاهِب الْفِقْهِيَّة والكلامية وَالفِكْرِيَّة، وَأَلْفَاظٌ عُلُومِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ...وغيرها، وأن عدد من ألفاظ الإسلام بيد أنها لم تتطور في النص القران؛ إذ ان لفظة "**الشيعة**" أصبحت تدل على أتباع مدرسة أهل البيت حصرا بعد أن وردت في القران الكريم بمعنى الأتباع فحسب في قوله تعالى:"**وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ**"(٣)، وكذا لفظة (**السنة**) و(**المعتزلة**) و(**المتصوفة**) وسائر ألفاظ المذاهب والمدارس الفكرية، فهى فان تعد

من الألفاظ الإسلامية بيد أنها تطورت بعد النص القرآني، وكذا ألفاظ (**العقيدة**) و(**الميعاد**)، والمصحف وغير ذلك من الألفاظ التي لم ترد ذكرها في القران الكريم بالمعاني التي تطورت إليها فيما بعد؛ إذ أنها تطورت ما بعد الحاجة الدينية والاجتماعية، ومن ثم فنحن هنا غير معينين بهذا النوع من التَّطَوُّر الَّذِي يَخْصُلُ خَارِج النَّصّ الْقُرْآنِيّ وَالَّذِي يَهُمُّنَا هُنَا التَّطَوُّر الدَّلَالِيّ الَّذِي يَدُورُ دَاخِلٌ النَّصّ الْقُرْآنِيّ، والناتج عَن تَطَوَّر صَرْفِي فِي الْكَلِمَةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

وتتحدد أهم خصائص التطور الدلالي للكلمة في القران الكريم فيما يلى :

أولا : أثر التطور الدلالي القرآني في حياة اللغة العربية

١- اللُّغَة كَائِنٌ حَيّ اجْتِمَاعِيٌّ يَخْضَع لِلتَّطَوُّر أَو التَّغْيِير، وتطور الدَّلَالَة ظَاهِرُه شَائِعَةً فِي كُلِّ اللُّغَات وَتُعْرَف بِدِرَاسَة المراحل التَّارِيخِيَّة بَلَغَه والأطوال الَّتِي تَمُرُّ بِهَا وللتطور الدَّلَالِيّ الْقُرْآنِيّ أَثَرَ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ نجمله فِي النِّقَاط التَّالِيَة :

قداسة القران الكريم لها الأثر في الحفاظ على اللغة العربية إذ يرى "سوسير": **أَن الثَّبَات النِّسْبِيّ لِلُّغَة وَعَدَم التَّغَيُّرِ يَأْتِى مِنْ عَامِلٍ خَارِجِيّ (فالبلاط وَالْمَدْرَسَة أَو الأَكَادِيمِيَّة أَو الكتاتيب) أَوْ غَيْرِهَا مِنْ عَوَامِل خَارِجِيَّة يُمْكِنُ أَنْ تُحَافِظَ عَلَى ثَبَات اللُّغَة**(٤)، ومن هنا نقول إن قداسة القرآن الكريم قد أثرت في نفوس المسلمين فإنها تعد عاملا خارجيا مهما في الحفاظ على اللغة من التغيرات التي تطرأ عليها.

٢- **التطور المحدود:** تمتاز اللغة العربية عن غيرها من اللغات بان التطور الحاصل لها يأتي في حدود معينة بسبب إحاطة النص القرآني بدائرة التغيير ومنعها من الاستمرار في التغير المؤدى إلى الموت الجزئي أو الكلى للغة.

٣- ففى القران الكريم –كما ذكر **ابن فارس**- "**نقلت كَثِيرٍ مِنْ الْأَلْفَاظِ مِنْ دَلَالَات كَانَتْ مَعْرُوفَةً فِيهَا إِلَى أُخْرَى جَدِيدَة تُنَاسِب التَّطَوُّر اللُّغَوِيّ والاجتماعي الَّذِي أَحْدَثَهُ الْإِسْلَامِ فِي الْجَزِيرَةِ العَرَبِيَّةِ، حَيْث أَبْطَل أَلْفَاظ وَاسْتَغْنَى عَنْهَا لِأَنَّهَا لَمْ تَعُدْ مِنْ مُقَوِّمَات الْمُجْتَمَع فالفسق لَا تَعْرِفُهُ الْعَرَبِ إِلَّا بِمَعْنَى خُرُوج الرَّطْبَة مِن قَشَّرَتْهَا وَإِذْ هُوَ فِي الْإِسْلَامِ بِمَعْنَى الْإِفْحَاش وَالْخُرُوجِ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ**"(٥) والصلاة، والصيام، والحج،

والنفاق، والجاهلية، والفسق، الغائط....وغير ذلك شملها التغير، وانتقلت إلى معان شرعية، فالصلاة كانت بمعنى دعاء والصوم كان بمعنى الإمساك والحج كان بمعنى القصد.. وهكذا.

وَعَلَى هَذَا يَكُونُ التَّمَيُّز بَيْن مَرْحَلَتَيْنِ مِنْ مَرَاحِل التَّطَوُّر الدَّلَالِيّ فِي الْعَرَبِيَّةِ :

الأولى : المرحلة القديمة المنتهية بالإسلام من مراحل التطور الدلالي في العربية.

الثانية: هى ما بعد التدوين(٦).

٤- إيقاف التطور الصوتي:" **أَن التغيرات الصَّوْتِيَّة لَا حُدُودٌ لَهَا وَلَا يُمْكِنُ التَّكَهُّن فِي الْمَدَى الَّذِي تَصِلُ إِلَيْهِ أَوْ يَقِفَ عِنْدَهُ، لِأَنّ التغيرات الصَّوْتِيَّة تُسْتَمَدّ طَبِيعَتِهَا مِن اعتباطيا الْإِشَارَة اللُّغَوِيَّة**"(٧).

وَمِنْ هُنَا يَأْتِي دُورَ التَّطَوُّر الْقُرْآنِيّ لِيَكُون الِاهْتِمَام بِالْقِرَاءَات وَإِخْرَاج الْأَصْوَات مِنْ مَخَارِجِهَا الصَّحِيحَة مَانِعًا مِنْ اسْتِمْرَارِ وَالتَّغَيُّر عَلَى أَنَّ مَنْ التَّطَوُّرَات الَّتِي تَتَعَرَّض لَهَا أَصْوَات اللُّغَة هِى مَا يُسَمَّى بِالْمُمَاثَلَة أَوْ الْمُخَالَفَةُ، إذ تَطَوَّر الضَّاد إلَى الدَّال، وَلَوْلَا لُزُوم التَّطَوُّر الدَّلَالِيّ الْقُرْآنِيّ•ومقاصد القرآن باستمرار والتحول بلفظ (**الضالين**) إلى (**الدالين**)، وربما نرصد شيئا من التطور غيرها ذكرنه وهو ما نجده في لهجات بعض بسطاء الناس من تغير (**الألف**) إلى (**عين**) " **مِثْلُ لَفْظِ الْقُرْآنِ الَّذِي تَطَوَّرَ فِي النَّصِّ الْقُرْآنِيّ إذ أَصْبَح يَعْنِي كِتَابِ اللَّهِ الْمُنَزَّل عَلَى رَسُولِ وَأَئِمَّة اللَّهِ عَلَيْهِمْ السَّلامُ بَعْدَ أَنْ كَانَ بِمَعْنَى الْجَمْعِ أَوْ القراءة**"(٨)، وربما يؤثر صوت المد في لفظ (**الصلاة**) لتصحيح (**صلا**) لكثرة الاستعمال تتحول إلى صوت الصاد فقط، وَلَّوْا حَيَّوَيْه اللَّفْظ الْقُرْآنِ فِي أَوْسَاطِ الْمُسْلِمِينَ لِمَا تَمَّ إيقَاف هَذَا النَّوْعِ مِنْ التَّغْيِيرِ.

ثانيا : اللفظ القرآني المتطور دلاليا يؤثر في السياق القرآني

يُعَدّ اللَّفْظ الْقُرْآنِيّ المتطور دلاليا ذَات إيحاءات دلالية تثري السِّيَاق الْقُرْآنِيّ بِمَعَان جَدِيدَة، أظهرتها لَنَا دِرَاسَة التَّطَوُّر الدَّلَالِيّ الْقُرْآنِيّ، وَالَّتِي تُعْنَى بِرَصْد حَرَكَة الْأَلْفَاظ وَامْتِدَادِهَا إلَى مَكَان آخَرَ تَقْبَلُه السياقات الْقُرْآنِيَّة الَّتِي سِيقَت فِيهَا النُّصُوص لِأَغْرَاض مُعَيَّنَة، وَلَا يُعْنَى التَّأْكِيدِ عَلَى الْأَلْفَاظِ

وَعَدَمِ وُجُودِ التَّطَوُّرِ فِي الْمَجَالات الْأُخْرَى بَلَغَهُ مَا، غَيْرِ أَنْ (فندريس)"**يرى أن الألفاظ أكثر العناصر اللغوية عرضة للتغير والتحول من الأنظمة اللغوية الأخرى**"(٩).

وَهُنَا يُجْدَر التَّنْبِيهُ عَلَى أَنَّ السِّيَاقَ الْقُرْآنِيّ لَهُ أَثَرٌ فِي نَوْعَيْنِ مِنْ التَّغَيُّرِ الدَّلَالِيّ :

الأول : هو التغير الدلالي المؤقت، وهو الذي ينشأ من حركة الألفاظ في حدود النص التي وردت فيه؛ أي ما تبنيه البلاغة في علاماتها المختلفة والتشبيه المجاز والاستعارة مثلا لها المساحة الواسعة في تبدل دلالات الألفاظ بالقرائن العملية المعروفة، وقد تحدث علماؤنا عن هذه الآثار في دلالة السياق القرآني.

بَيْدَ أَنَّ هَذَا التَّغَيُّرُ لَا يَعْنِي التَّطَوُّر الدَّلَالِيّ الَّذِي نَحْنُ بِصَدَدِهِ بَلْ هُوَ اسْتِعْمَالُ مَجازِيٌّ مُؤَقَّتٌ، وَرُبَّمَا يُؤَدَّى إِلَى هَذَا الِاسْتِعْمَالِ الْمُوَقَّتَ إِلَى تَطَوَّر دَلَّالِي، وَيُصْبِح اسْتِعْمَال دَائِمٌ، وَهُوَ لَا مَانِعَ فِيهِ إِذْ الْتَزَم الدَّلَالَة الْجَدِيدَة وَعُرِفَ بِهَا.

الثاني : التغير الدلالي الدائم.. وهو ما يطلق عليه (**التطور الدلالي**)، إذ يسهم السياق بقسميه الخارجي والداخلي في إمالة إثبات الدلالة الجديدة التي تكون حقيقة في اللفظ، وان كانت ناشئة من المجاز أو الاستعارة أي أن كلمة هذا التطور ناشئة من التغير الدلالي المؤقت في قوله تعالى:" **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**"(١٠).

فمن المعلوم أن الشريعة في كلام العرب "**شَرَعَه الْمَاء وَهَى مَوْرِدُ الشَّارِبَةِ الَّتِي شَرَعَهَا النَّاس فَيَشْرَبُون مِنْهَا وَيَسْتَقُون**"(١١)، ويؤكد ابن عاشور هذا المعنى بقوله:" **وَسُمِّيَت الدِّيَانَة شَرِيعَة عَلَى التَّشْبِيهِ لِأَنَّ فِيهَا شِفَاءً النُّفُوس وَطَهَارَتُهَا، الْعَرَب تُشْبِه الْمَاء وَأَحْوَالِه كَثِيرًا**"(١٢)، إنما ذكرت الشاهد القرآني لنبين فيه أمرين: الْأَوَّلُ مِنْهُمَا: هو أصل اللفظ جاء من التشبيه

ثانيهما: إن السياق هو الذي دل على هذا الاستعمال فإن مراجعة سياق الآية يبين ذلك.

ثَالِثًا : التَّطَوُّر الدَّلَالِيّ مَرْكَز فِي اللَّفْظِ الْقُرْآنِيّ :

وَتُجِيب هَذِهِ الْخَاصِّيَّةَ مِنْ خَوَاصِّ التَّطَوُّر الدَّلَالِيّ عَن سُؤَالَيْن يتبادران إِلَى ذِهْنِ الْمُتَأَمِّل فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، أَوَّلِهِمَا كَيْف نَعْرِف التَّطَوُّر مَا دَامَ الْقُرْآنِ يُذْكَرُ بَعْضَ الْأَلْفَاظِ بِمَعْنَاه المعجمي تَارَة وَمَعْنَاه المتطور تَارَةً أُخْرَى، وَثَانِيهِمَا: أن بعض الألفاظ التي قيل بتطورها قرآنيا موجودة في الأمم السابقة والديانات السابقة، فكيف نقول بتطورها، ولفظ الصلاة شاهد على السؤالين والجواب.

أولا : إن تكرار المعنيين: المعجمي والمتطور في النص القرآني يأتي لتأكيد الدلالة الجديدة الناتجة عن التطور الصرفي، وبيان فرقها عن الدلالة المستعملة من قبل، وبعبارة أخرى إن النص القرآني يجمع بين اللفظ قبل التطور الدلالي والمنبثق عن التغير الصرفي، وبعدها.

وَهُنَاك شَوَاهِدُ كَثِيرَةٌ عَلَى ذَلِكَ رُبَّمَا وَرَدَتْ فِي النَّصِّ الْقُرْآنِيّ لِبَيَان حَالَة التَّطَوُّر وَالتَّغَيُّر وَفِي الْوَقْتِ الَّذِي نَجِدُ الْمَعْنَى الْأَصْلِيّ إِلَى جَانِبِهِ الْمَعْنَى الْجَدِيدِ فِي إِشَارَةً وَاضِحَةٌ إِلَى ضَرُورَةِ الْأَخْذ بالمنظومة الْفِكْرِيَّة الْجَدِيدَة.

ثانيا : من الملاحظ أيضا أن بعض الألفاظ التي قيل أنها تطورت بالنص القرآني، قد صرح القرآن الكريم بأنها موجودة بالديانات السابقة كما في قوله تعالى : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا)**[١٣]، وقوله تعالي:"**جَعَلَنِي مُبَارَكًا**"[١٤]، بيد أن القرآن ذكر هذه المفاهيم ورسخها في الذهنية الإسلامية، وذلك بتكرارها في النص القرآني والتأكيد على أهميتها بين الألفاظ القرآنية الخاصة.

وتبرهن تِلْك الْخَصَائِص عَلَى ثَرَاء التَّطَوُّر الدَّلَالِيّ فِي مَدِّ اللَّفْظ الْقُرْآنِيّ بِدَلَالَات متطورة لِأَنَّهَا نَاتِجَةٌ عَنِ تَغَيُّرٍ صَرْفِي لِحَقّ بِنِيَّة اللَّفْظِ مِنْ خِلَالِ مسبباته مِن إِعْلَالٌ وَإِبْدَال أَوْ قَلْبٍ مَكَانِيٌّ أَوْ تَخْفِيفِ الْهَمْزَة وَغَيْرِهَا، وَذَلِك فَإِن رَصَد أَهَمّ الْعَوَامِل الْكَامِنَة وَرَاءَ هَذَا التَّطَوُّر الدَّلَالِيّ تَظْهَرُ لَنَا عُمْق هَذِه الْخَصَائِص السَّابِقَةِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي تُوَضِّحُه لَنَا سُطُور الْمَبْحَث الْقَادِم.

المحور الثَّانِي

عَوَامِل التَّطَوُّر الدَّلَالِيّ الْقُرْآنِيّ

تَقِف وَرَاء التَّطَوُّر الدَّلَالِيّ عَوَامِل لُغَوِيَّةٌ وتاريخية وَاجْتِماعِيَّة، وَقَدْ ذَكَرَ عُلَمَاءُ اللُّغَةِ عَامِلَيْن رئيسيين لِلتَّطَوُّر الدَّلَالِيّ وَهُمَا:"**الاستعمال وَالْحَاجَة، فَيَدْخُلُ فِي عَامِلِ الِاسْتِعْمَال سُوءُ الْفَهْمِ وَبُلِي الْأَلْفَاظ والاتزان وَمَن عَنَاصِر الْحَاجَة التَّطَوُّر الاقْتِصَادِيّ والاجتماعي والسياسي**"(١٥).

ويلاحظ أن هذه العوامل وإن كانت موجودة في التطور الدلالي القرآني، بيد أنها تختلف عما ذكر؛ إذ ليس هناك اتزان أو سوء فهم في ألفاظ القرآن الكريم، بل إن الاستعمال جاء من الإيمان التام لما جاء من القرآن من ألفاظ جديدة عدت من مُدخلات النظام الجديد.

أَمَّا عَوَامِل وَأَسْبَاب التَّطَوُّر الدَّلَالِيّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِيهَا ميزات خَاصَّة جَاءَتْ مِنْ خُصُوصِيَّةِ النَّصّ الْقُرْآن، وَذَلِك بِاسْتِبْدَال الْمَنْظُومَة المعرفية الَّتِي كَانَتْ سائدة قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَفْق أَلْفَاظ مُعَيَّنَة، وَتَغْيِيرِهَا بِأُخْرَى تَظْهَر سِمَة الْحَاضِرَة الْإِسْلَامِيَّة، فَإِنَّ لِكُلِّ حَضَارَةٌ سِمَات تَكْشِف عَنْهَا أَلْفَاظِهَا الَّتِي تَتَغَيَّرُ مَعَ تَغَيُّرِ المرتكزات الَّتِي كَانَتْ تَعُمّ مجالات الْحَيَاةِ فِي فَتْرَةِ مَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ، وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ مَا حَظِّي بِهِ الْمُجْتَمَع الْإِسْلَامِيّ مِن تَطَوَّرَ فِي الْمَجَالات كَافَّة يَحْتَاجُ إِلَى تَطَوَّر وَتَغَيَّر وَتَبْدِيل مفرداتها متزامنا مَع تَعْدِيل سلوكيات الْمُجْتَمَع، وَإِقْرَارٌ نِظَامِه الْجَدِيد.

ينطوي التطور الدلالي للكلمة في القرآن الكريم النابع من التطور الصرفي على عدة أسباب تتبلور فيما يلي:

١- العمل على استبدال المعتقدات والقوانين التي كانت قبل نزول القران الكريم، بأخرى قائمة على علاقة صحيحة تربط الإنسان بالخالق الحقيقي، وتعرفه بأصول دينه، وأحكامه الفقهية وتحكم علاقته مع الآخر، أدى ذلك إلى تطور بعض الألفاظ وإيجاد شبكة جديدة من الدلالات لألفاظ مستعملة عند العرب سابقا،أو غير مستعملة في دلالاتها الجديدة يتوزع هذا التطور الدلالي على مجالات عدة منها :

أ – الألفاظ تعبر عن معان عقديه أزاحت ما كان متراكما من صنميه العبادة، وغموض الرؤية الكونية لدى الإنسان، بألفاظ التوحيد والرسول والوحى وغيرها تشكل ألفاظ المنظومة العقدية القرآنية التي نفضت مفاهيم غابرة عن الإنسان وعلاقته بالله والرسول ومصيره بعد الموت

فالوحى مَثَلًا فِي اللُّغَةِ هُوَ الْإِشَارَةُ وَالْكِتَابَة وَالرِّسَالَة والإلهام وَالْكَلَام الخفى"(١٦) **تَطَوَّرَت فِي النَّصِّ الْقُرْآنِيّ وَنُقِلَتْ إِلَى مَعْنَى اتِّصَال الْخَالِق تَعَالَى بِالْأَنْبِيَاء لِتَبْلِيغ رِسَالَات السَّمَاءِ إِذْ قَالَ تَعَالَى : "انا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ...إلخ**(١٧)، وهكذا فان سائر الألفاظ لها معانى معجمية تعرفها العرب وقد تطورت في القران الكريم، أَمَّا تَخْصِيصًا أَو تَعْمِيمًا أَوْ رُقْيًا أَوْ انْحِطَاط لتنحى مِنَحًا دلاليا جَدِيدًا فَرَضْتَه حَاجَة السَّمَاء لِبِنَاء الْإِنْسَانُ بِنَاءَ عقائديا رَصِينًا.

ب – لكل دستور مصطلحاته التي تبين لها الأحكام والقوانين وهكذا جاء القرآن بألفاظ تخص كثيرا من الأحكام بسواء كانت تتعلق بعلاقة الإنسان بربه من قبيل الصلاة والصيام والحج والزكاة والطهارة أو ما يتعلق بعلاقة الإنسان بالآخر على مختلف أشكاله أو بعلاقاته الاجتماعية بالآخرين مثل البيع والشراء والزواج والطلاق والعدة والنفقة الوديعة والشفعة والربا والدية والإرث.

٢- رفع مستوى الذوق الاجتماعي باستخدام ألفاظ تتناسب مع مستوى الرقى الاجتماعي الذي أراد الإسلام أن يعم المجتمع الإسلامي،"**فاستبدلت أَلْفَاظ تَتَعَلَّق بِالْمَسَائِل الزَّوْجِيَّة، أَوْ مَا يَتَعَلَّقُ بالتبول لِمَا يُسْتَقْبَح ذِكْره عَلَى الْمَلَإ، بِأُخْرَى فَأَصْبَحَتْ مِنْ مُفْرَدَاتِ الْمُسْلِم، فَلَا يَكَادُ لَفْظٍ مِنْهَا يَشِيع حَتَّى يُمَجَّه الذَّوْق الاجْتِمَاعِيّ، وتأباه الْآدَاب، فَيُسْتَعَار عَنْهُ بِآخَرَ**"(١٨) فألفاظ الملامسة والرفث...وغيرها ألفاظ تطورت عن معانيها الأصلية لتعطى دلالات جديدة أصبحت بديلا عن سابقتها.

٣- الحاجة إلى الألفاظ المجردة ؛ أي تطور الألفاظ بنقلها من الحسي إلى المعنوي في لغة القران الكريم، ويعد هذا الأمر ضروريا بوصف القران الكريم كتاب هداية يعنى بالجانب المعنوي للإنسان أكثر من غيره، ومن ثم " **فَإِنَّ كَثِير مِنْ الْأَلْفَاظِ تَطَوَّرَت عَبَّر هَذَا النَّوْع مِنْ الِانْتِقَالِ، وَإِن ثَمَّة رَبَطَ بَيْنَ أَحْوَالِ الْمُجْتَمَع حضاريا، ومدى غِنًى لغته بِالْأَلْفَاظ الْمُجَرَّدَة لِأَنَّهَا تَزْدَاد مَع ازْدِيَاد ثَقَافَةُ الْمُجْتَمَع وتكامله الحَضَارِيّ**"(١٩)، وقد ذكر "**ابن فارس**" عددا من الشواهد على ذلك منها"**ان (المنافق) لفظ عُرف فِي الْإِسْلَام بِمَن يُبْطِن غَيْرِ مَا يَظْهَرُ، وَكَانَ الْأَصْلُ فِيهِ هو"نافقاء اليربوع"**(٢٠).

٥- ذكر أهل اللغة أن كثرة الاستعمال من عوامل نشأة التطور الدلالي إذ قيل:" **أَنَّ مَنْ خَوَاصِّ التَّطَوُّر الدَّلَالِيّ هُوَ أَنْ يَسِيرَ بِبُطْء وتدرج• وَلَا يَتِمُّ بِشَكْل فجائى سَرِيع بَل يَسْتَغْرِق وَقْتًا طَوِيلًا**"(٢١)، بيد أن هذا العامل لا يستقيم مع التطور الدلالي لألفاظ القران الكريم، بل ربما يكون عاملا في التطور الدلالي الإسلامي العام، وليس التطور القرآني ذلك ان المصطلح القرآني يأخذ تبليغه حيز النفاذ والانتشار في الفكر الإسلامي في وقت قصير جدا. فإن الصلاة بعدما وصل الأمر بإقامتها، و- لفظ الصلاة هو لفظ متطور عن الدعاء - لَمْ يَأْخُذْ وَقْتًا يُوصَفُ بِالْكَثْرَةِ فِي الِاسْتِعْمَالِ فِي التَّعَاطِي مَعَ هَذَا الْمَفْهُومِ الْجَدِيد، وَكَذَا أَلْفَاظِ الْأَيْمَانِ وَالْجِهَاد وَالدُّعَاء وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ... وَغَيْرِهَا

ومما يدل على ذلك ما عليه القران الكريم في إطلاق لفظ الإيمان بدل الإسلام•

والخلاصة أن التطور الدلالي القرآني لا يتوقف دائما على كثرة الاستعمال أو البطء والتدرج كما هو الحال في التطور اللغوي العام.

٥- التطور الصوتي القرآني• ودفع التنافر في بعض ألفاظ لغة العرب، إذ تطورت دلالات بعض الألفاظ القران الكريم المأنوسة في الأذهان لتحل محل الأخرى المتنافرة الأصوات، وهو جزء من متطلبات الحضارة في (**الحلم**) عند العرب هو الصديق ووردت في القران الكريم "**أو مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أو صَدِيقِكُمْ**ج"(٢٢)، ليكون بديلا عن الحلم ودافعا له.

٦- توحيد لغات العرب ولهجاتها ؛ إذ أتى بعض الألفاظ المختلفة عند العرب ووردت في القران بمفهوم دلالي جديد قطع الطريق على كل اللغات واللهجات ان تأخذ دورها فلا الاستخدام اللغوي، "**إذ ورد ان بعض العرب مثلا تسمى الأصابع (الشنائر أو الشينترة الإصبع بالحميرية وجمعه الشناتر**"(٢٣)، وقد قال تعالى:"**جْعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ**"(٢٤).

ونلاحظ من خلال ما سبق تنوع الأسباب الكامنة وراء التطور الدلالي ما بين أسباب شرعية ولهجية وصوتية تضافرت ؛ لتفرز لنا هذا التطور القائم هنا على تطور صرفي في شواهد قرآنية تبرزها سطور المبحث القادم حول تجليات التطور الدلالي للكلمة في القران الكريم.

المحور الثَّالِثُ

تجليات التَّطَوُّر الدَّلَالِيّ الْقُرْآنِيّ

لَا يَتَوَقَّفُ أَثَر التَّطَوُّر الصَّرْفِيّ عَلَى تَغْيِير بِنْيَةُ الكَلِمَةِ فَقَط، بَلْ يَمْتَدُّ لِيُحْدِث تَأْثِيرًا دلاليا فِي السِّيَاقِ الْعَامّ لِلْآيَة الَّذِي وَرَدَتْ فِيهِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ، وَلِذَلِك نَتَجَ عَنِ التَّغَيُّرِ الصَّرْفِيّ لِكَلِمَة تَجَرَّد كَثِيرٍ مِنْ الْأَلْفَاظِ مِنْ مَعَانِيهَا الْعَامَّة الْقَدِيمَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَأَصْبَحَت تَدُلُّ عَلَى معانٍ خَاصَّة تَتَّصِل بِأُمُور الْحَيَاة الرُّوحِيَّة وَغَيْرِهَا لمسلمين فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ بَعْدَ نُزُولِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

أَيْ أَنَّهَا تُشِيرُ إِلَى مَعَانٍ جَدِيدَة ضِيقه أَو مُتَّسِعَة أَو مُنْتَقِلَةٌ مِنْ مَعْنَى لِآخَرَ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي تُظْهِرُه لَنَا سُطُور هَذَا الْمَبْحَثِ حَوْل تجليات التَّطَوُّر الدَّلَالِيّ لِلْكَلِمَة، سنرى أَنَّ تِلْكَ الشَّوَاهِدُ الْخَاصَّة بالتطور الدَّلَالِيّ لِلْكَلِمَة فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مَبْنِيَّةٌ عَلَى تَطَوُّرٍ صَرْفِي. أولا : التعميم الدلالي للكلمة المتطورة صرفيا

وقد أطلق"**السّيُوطي**"على هذا الضرب من التطور"**بأنه وضع في الأصل خاصا ثم استعمل عاما**[٢٥]**، ويسمى في الدراسات اللغوية الحديثة في توسيع المعنى أو تعميمه**"[٢٦].

والمقصود من ذلك " **أَن يُتَوَسَّعُ فِي مَعْنَى الْكَلِمَةِ وَدَلَالَتُهَا فَتَنْتَقِل مِنْ مَعْنَاهَا الْخَاصِّ الَّذِي كَانَتْ تَدُلُّ عَلَيْهِ إِلَى مَعْنَى أَشْمَل وَأَعَمُّ مِنْ ذَلِكَ** " [٢٧].

وَفِي الْمَقَام الْقُرْآنِيّ فَإِن الْكَلِمَة المعممة دلاليا تَعَنَّى أَنَّهَا قَدْ تَحَوَّلَت مِنْ دَلَالَةِ خَاصَّةً فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِلَى مَعْنَى عَامٍّ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ فَانْتَقَلَت وَفْق التَّطَوُّر الدَّلَالِيّ إلى معنى عام جديد وتبرزه الكلمات والصيغ القرآنية التي حدث لها تطور دلالي عام في الاستعمال اللغوي والقائمة أيضا على تغير صرفي، تتمثل هذه الصيغ فيما يلي :

١– القائم

مِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ صِيغَةَ الْقَائِم قَدْ حَدَثَ لَهَا إِعْلَالٌ بِالْقَلْب، وَذَلِك بِقَلْب وَاوِهَا هَمْزَة ؛ حَيْثُ كَانَ أَصْلُهَا "**قاوم**"، فصارت بعد التطور الصرفي الذي وقع لها "**قائم**" وكان لهذا التطور أثر

واضح في التغيير الدلالي لصيغة "**القائم**" المعلة بالقلب في قوله تعالى : "**أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ**"(٢٨) قال ابن عاشور :

" **وَالْقَائِم عَلَى الشَّيْءِ الرَّقِيب لِيَشْمَل الْحِفْظ، وَالْإِبْقَاء، وَالْأَعْدَاد، وَأَصْلُهُ مِنْ الْقِيَام وَهُوَ الْمُلَازَمَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:"إلا مَا دُمْتَ عَلَيهِ قَائِما"(٢٩)، ويجئ مِنْ مَعْنَى الْقَائِم أَنَّه الْعَلِيم بِحَال كُلِّ شَيّ؛ لِأَنَّ تَمَامَ القيومية يَتَوَقَّفُ عَلَى إحَاطَةِ الْعِلْمِ، وَالْعَالِم بأحوالها وَأَعْمَالِهَا**"(٣٠).

وفى هذا المثال نلاحظ أن التطور الدلالي لكلمة "**القائم**" التي حمّلها السياق القرآني بدلالات جديدة لم تكن معهودة عند العرب قبل نزول القران الكريم "**فالقيام في أصل اللغة وهو المواظبة والملازمة**"(٣١). وقال الفراء في هذا الشأن :

"**قائما أَعْنِي أَي مُوَاظِبًا مُلَازِمًا، وَمِنْهُ قِيلَ فِي الْكَلَامِ لِلْخَلِيفَة: هُوَ الْقَائِمُ بِالْأَمْر، وَكَذَلِك فُلَانٍ بِكَذَا، قَالَ ابْنُ بَرَى إلْقَامٌ عَلَى الشّي الثَّابِتُ عَلَيْهِ**"(٣٢).

وَيَتَّضِح مِمَّا تَقَدَّمَ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمِ قَد تَوَسَّعَ فِي دَلَالَةِ هَذِهِ الصِّيغَةَ، قَدْ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى نَفْسِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ"بأنه القائم على كل نفس"، بمعنى انه هو سبحانه وتعالى منزلها ومدبرها، وتجئ أيضا بمعنى العالم بأحوالها، وأعمالها والرقيب عليها،.. وذلك ان من لوازم ان يكون قيما عليها ان يكون محيط العلم بها غير خاف عليه شيء من أحوالها.

قال "**القاسمى**" في تفسيره"**وَيَتَّضِح مِمَّا تَقَدَّمَ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمِ قَد تَوَسَّعَ فِي دَلَالَةِ هَذِهِ الصِّيغَةَ، قَدْ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى نَفْسِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ**"(٣٣)

وهكذا فان الانتقال من الخاص إلى العام في معنى صيغة القائم على الوجه السابق، قد عكس لنا تطورها الدلالي في صدر الإسلام عما كان عليه قبل نزولها القران الكريم.

٢- المنتهى

يُقَرِّر الصَّرفيون أَنَّ تِلْكَ الصِّيغَةِ قَدْ وَقَعَ لَهَا إعْلاَلٌ بِالْقَلْب، وذلك بقلب ألفها واوا؛ أي ان التطور الصرفي تعرض لبنيتها، فصارت "**المنتهى**" اسم مقصور متطور صرفيا، ومن ثم كان لها

ظل دلالي في سياق الاية التي وردت فيها في قوله تعالى:"**سْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا * فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا * إِلىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا**"(٣٤)، فقال "ابن عاشور:

" وَالْمُنْتَهَى أَصْلِه مَكَان انْتِهَاء السَّيْر، ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَى الْمَصِير ؛ لِأَنَّ الْمَصِيرَ لَازِمٌ لِلِانْتِهَاء حَيْثُ قَالَ تَعَالَى:"إِنَّ إِلَى رَبْكِ الْمُنْتَهى"(٣٥)، ثُمَّ تَوَسَّعَ فَأَطْلَقَ عَلَى الْعِلْمِ؛ أَيْ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ فَقَوْلُهُ تَعَالَى:"مُنْتَهَاهَا" هُوَ فِي الْمَعْنَى عَلَى حَذْفِ الْمُضَافِ؛ أَيْ عَلِمَ وَقْتَ حُصُولِهَا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُنْتَهَاهَا مَعْنَى بُلُوغ خَبَرُهَا، كَمَا يُقَالُ : أَنْهَيْت إِلَى فُلَانٍ حَادِثَة كَذَا، وَانْتَهَى إِلَى نَبَا كَذَا"(٣٦)

وَفِي هَذَا الْمِثَالِ نلحظ أَن "صيغة المنتهى" قَدْ مَرَّتْ بأطوار دلالية، فَبَعْدَ أَنْ كَانَ يَقْتَصِرَ عَلَى مَعْنَى انْتِهَاء السَّيْر وَاتَّسَعَت دلاليا فَصَارَتْ بِمَعْنَى الْمَرْجِع وَالْمَصِير، أَحْيَانًا تَجِئ بِمَعْنَى الْعِلْمِ أَيْ الْعِلْمُ بِوَقْت حُصُول يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَخِيرًا تُرَدّ بِمَعْنَى بُلُوغِ خَيْرَهَا ولعل في تعدد الأطوار الدلالية التي مرت بها صيغة "**المنتهى**" ما يبرهن على عمقها الدلالي في إثراء المعنى على النحو السابق؛ إذ أنها لو جاءت في مرحلة غير متطورة دلالية ما دلت على هذا المعنى الجديد في رحاب القرآن الكريم.

أ – الميزان

يجمع الصَّرفيون على إن صيغة "**الميزان**" قد وقع لها تطور صرفي بواسطة الإعلال بالقلب، ذلك بقلب واوها "**ياء**" فاصلها "هو "**مويزان**" فصارت بعد التغيير الصرفي الذي طرأ عليها "**ميزان**" وكان لهذا التحول المورفولوجي له تأثير دلالي واضح في إطار من التعميم الدلالي في قوله تعالى:"**والسماء رفعها ووضع الميزان**"(٣٧)، فقد كانت دلالتها قبل نزول القران ضيقة في مجال وزن الأشياء المباعة، أو المشتراة، حيث ذكرت المعاجم كلمة الوزن بمعانيها المختلفة التي ترددت على السنة الناس في العصر الجاهلي، فقالت الوزن روز الثقل والخفة، **وقال "الليث" :" الوزن ثقل الشئ مثله وقال "أبو العباسي": قال "ابن الأعرابي": الْعَرَبَ تَقُولُ فُلَانٌ عِنْدِي وَزْنٌ أَيْ قَدْرُ حِشَّتِه"(٣٨) ويقال: وزنت لفلان، وهذا يزن درهما وهو درهم وازن**" (٣٩).

وقد استخدم "**الأعشى**" صيغة وزن في بيت من بحر الخفيف:

وإن يستضافوا إلى حكمه ∴ يضافوا إلى عادل قد وزن(٤٠)

ثم اتسع معا الميزان دلاليا حتى صار يفيد المقدار نفسه جاء في اللسان:

قد كنت قبل لقائكم ذا مرة ∴ عندى لكل خاصم ميزان(٤١)

وفى شعر **"النابغة"** الميزان : بمعنى آلة الوزن سواء كانت آلة حقيقية للوزن، أو كان صواب الحكم سداد الرأي حيث قال **"النابعة"** بفي بيت من بحر الطويل.

إلى خير دين نسكه قد علمته ∴ وميزانه في سورة البر ماتع

وَقَدْ اشْتَمَلَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي الْمِيزَانِ بِعِبَارَة الضّيق فقال تعالى:" **وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تخسروا الْمِيزَانَ**"(٤٢)، فهو هنا بمعنى روز الشئ وتقديره ثقله، ويماثل ذلك الله قوله تعالى:" **وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ**" (٤٣)

ثم توسعت دلالته في القران الكريم في قوله تعالى :"**فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنً**"(٤٤)، وهو يعنى القدرة المعنوية بالطبع كما دارات دلالية أيضا في السعة الدلالية إلا تتناول أعمال الإنسان في الدنيا ووزنها يوم الحساب، فمنهم من خفت موازنيهم ومنهم من ثقلت موازينهم حيث قال تعالى :"**فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفت موازينه فأولئك هم الذين خسروا أنفسهم بما كانوا يظلمون**"(٤٥).

وبذلك اختلفت دلالة صيغة الميزان من العصر الجاهلي إلى صدر الإسلام مع إبقاء الدلالة الضيقة لعلها في هذا الشيء من الناحية الأدبية ومما يؤكد التعميم دلالة الميزان في القران الكريم يوم القيامة ان الإنسان لا يستطيع ان يتصور أو يحدد المقصود بالميزان يوم القيامة، ولعل هذا معنى قوله تعالى:" **والسماء رفعها ووضع الميزان * ألا تطغوا في الميزان * وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان**"(٤٦)، ما يصور لنا التحول الدلالي من صيغة الميزان من معنى عام إلى معنى خاص.

وَيُبَيّن لَنَا صَاحِبُ الْكَشَّافِ سِرّ هَذَا التَّحَوُّل الدَّلَالِيّ لِلَفْظِه الْمِيزَان بِقَوْلِه:

" تعنى قراءة "عبد الله"، و"حفص": "الميزان"، وأراد به كل مأثورة به الأشياء وتعرف مقاديرها من ميزان ومكيال ومقياس"(٤٧).

وندرك مِنْ نَصِّ الْآيَاتُ الْكَرِيمَةُ أَنَّ مِيزَان الْآخِرَة وَضَع لتقييم مِيزَان الدُّنْيَا قَالَ "**ابن كثير**" في تفسيرها :

"أي لا نبخسوا الوزن بل زنوا بالحق والقسط"(٤٨).

وَمِنْ الْعَجِيبِ فِي الْأَمْرِ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمِ قَدْ جَمَعَ بَيْنَ صِيغَة الْمِيزَان وَهَى الممالة وَأَقَلّ عَلَى الْوَزْنِ المعنوى لِأَعْمَال الْإِنْسَان يَوْم الْقِيَامَةِ وَكَذَلِك الْوَزْن الدُّنْيَوِيّ لِلْأَشْيَاء الْمُبَاعَة أَوْ الْمُشْتَرَاةُ عَلَى الْوَجْهِ السَّابِقِ، وَمِمَّا يُبَرْهِنْ عَلَى تَنَوُّع دلالاتها النَّاتِج عَن عُمْقُهَا الدَّلَالِيّ هُو وُرُودِهَا متطورة صرفيا، فَإِذَا جَاءَتْ فِي خَطْوِهِ غَيْرَ مُتَغَيّرَةٍ صرفيا مثل **(مويزان)** مَا عَبَّرْت عَن التَّنَوُّع الدَّلَالِيّ المنشود فِي ظِلَالِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

د– الإيمان :

وهذه الصيغة وقع لها إعلال بالقلب، وذلك همزتها ياء فاصلها "**أمان**" فقلبت همزتها الثابتة ياء فصارت "**إيمان**"، وذلك لوقوعها ساكنة بعد همزة مكسورة، وجدير بالذكر انه قد ترتب على هذا التغير الصرفي لها تطور دلالي في قوله تعالى:" **قالت الأعراب آمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم**"(٤٩)، حيث دلت تلك الصيغ على عموم الدلالة على الإقرار للسان والقلب، وهى بذلك مختلف عن الإسلام الذي يدل على الإقرار باللسان فقط ولولا التطور الصرفي استعملت الدلالة فيها ويعود قيمة تغيرها الصرفي إلى سهولة نطقها بخلاف الصيغ غير المتطورة المشهورة بها في لغة العرب قيل الإسلام **(الجاهلية)** والتى كنا سندرك من خلال صعوبة نطقها قبل غير المتطورة صرفيا.

يوجد تمايز بين الإسلام والإيمان يعكس لنا التعميم الدلالي الناتج عن التطور الصرفي لصيغة الإيمان حيث إن **"الإيمان هو التصديق المقارن بالثقة وطمأنينة القلب ولم يحصل لكم ذلك إلا بما من تم على ما ذكرتم كما ينبؤ عنه آخر السورة (ولكن قولوا أسلمنا) فإن**

الإسلام انقياد، ودخول في السلم، وإظهار الشهادة، ان يقال : لا تقول آمنا ولكن قولا أسلمنا ولم تؤمنوا ولكن أسلمتم للاحتراز من النهى عن التلفظ بالإيمان وللتفادي عن إخراج قولهم مخرج التسليم والاعتداد به".(٥٠)

وذكر صاحب البحر المحيط أن التميز بين الإيمان والإسلام جعل صيغة الإيمان متسعة دلاليا، وذلك من خلال تتبعه سبب نزولها على حد قوله :

"قال "مجاهد" نزلت في بنى أسد ابن حزيمة، قبيلة تجاور المدينة أظهرت الإسلام وقلوبهم دخله، إنما يحبون المغانم وعرض الدنيا، وقيل"بزية، جهينة، واسلم، وغفار"قالوا: آمنا استحققنا الكرامة فرد الله تعالى عليهم بقوله:"قل لم تؤمنوا"أكذبهم الله في دعوى الإيمان، ولم يصرح باكذابهم بلفظة بل يجادل عليه من انتفاء إيمانهم(٥١).

وبذلك يؤكد المفسرون على الإيمان اعم من الإسلام في هذا السياق وتعود عموم الدلالة في هذه الصيغة إلى شموليته للتصديق باللسان والقلب، وان الذي جعلها تنحو منحى التعميم الدلالي التطور الصرفي الواضح ؛ فلو جاءت لفظة "**الإيمان**" غير المتطورة صرفيا ما أدت المعنى السابق مثل صيغة الإيمان المعلة بالقلب ذات الدينامية الدلالية.

ثانيا : تخصيص الدلالة الناتج عن التطور الصرفي

وهو ما عُرِف عند علماء الدراسات اللغوية الجديدة بأنه كل ما يلحق الكلمة من تطور وضيق في المعنى بعد اتساع عمومه. أي أنه يدخل في تطور دلالة الألفاظ تغيير المعنى من العام إلى الخاص، وذلك أن تأخذ دلالة المفرد كم كونها عامة مطلقة إلى دلالة ضيقة محصورة في معنى خاص مثلا: تستعمل لفظة "**فاكهة**" في أنواع خاصة من الثمار كالفتاح والموز والعنب... في حين كانت لفظة الفاكهة تعني الثمار جميعها من غير تمييز بينها وبذكون "**كثرة استعمال في بعض ما يدل عليه: يزيل مع تقدم العهد عموم معناه ويقصر مدلوله على الحالات التي شاع فيها استعماله، فمن ذلك جميع المفردات التي كانت عامة المدلول ثم شاع استعمالها في الإسلام في معانٍ خاصة تتعلق بالعقائد او الشعائر، النظم الدينية كالصلاة، والحج، والإيمان، والكفر، وغيرها**"(٥٢).

وأكثر ما ينطبق عليه هذا النوع من التطور تلك الألفاظ التي تتغير في دلالتها من معناها اللغوي العام إلى معناها الشرعي الخاص أن تكون ما وقع لها من تغير صرفي مرتبطة بموضوع دراستي حول التطور الصرفي للكلمة في القرآن الكريم.

وعموما تتبلور هذه الألفاظ المخصوصة الدلالة النابعة عن تطور صرفي فيما يلي :

١ – أوذي

إن صيغة "**أوذي**" من الصيغ التي حدث لها تطور صرفي بواسطة قلب همزتها "واوا" فأصلها "**أوذي**" فالتقت همزتان فصارت "**أوذي**"، وقد نهضت بدور دلالي هام في قوله تعالى :" **فإذا أوذي في الله...**"(٥٣)، حيث أورد لنا ابن عاشور تعليلا نحويا يفسر دورها الدلالي بقوله :

" وحرف الظرفية من قوله : "أوذي في الله" ومستعمل في معنى التعليل كالكلام أي أوذي لأجل الله أي لأجل أتباع ما دعا الله لنا(٥٤).

وبذلك تخصصت دلالة تلك الصيغة الناتجة عن التطور الصرفي "**إذ أن فريقا من الذين أسلموا بمكة وكان حاله في علاقتهم مع المشركين حال مالا يصبر على الأذى فإذا حلقهم إزاء رجعوا إلى الشرك بقلوبهم، وكتموا ذلك عن المسلمين، فكانوا منافقين فانزل الله فيهم هذه الآية قبل الهجرة، فعدهم الله منافقين وتوعدهم بهذه الآية**"(٥٥).

ويزداد تخصيص الدلالة بإجماع المفسرين على خصوصية الخطاب في هذه الآية "**فالصنف البشرى في هذه الآية لأناس كانوا يؤمنون بألسنتهم، فإذا مسهم أذى من الكفار، وهو المراد بفتنة الناس كان ذلك صارفا لهم عن الإيمان، كما أن عذاب الله صارف للمؤمنين عن كفر، أو كما يجب أن يكون عذاب الله صارفا**"(٥٦).

ومما جعل تلك الصيغة ذات تخصيص دلالي مقابلتها لنمط بشرى على درجة قوية من الإيمان، وهو ما يُعبر عن خصوصية الدلالة، وبرز ذلك الأمر في قوله تعالى: " **الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا....** "(٥٧).

وبذلك كانت صيغة "**أوذي**" التي قلبت فيها الهمزة إلى واوا من خلال الإعلال بالقلب اكتشفت عن إثراء الدلالي القرآني بما تحمله من إيحاءات إيمانية ذات خصوصية وبدونها ما فهمت مرامي النص القرآني لهذا الشيء المتعلق بدرجة تقبل المسلم للفتنة، وكذلك المؤمن لها فضلا عن أنها تمثل التطور الصرفي الذي طرأ عليها. وتوابعه في هذا الشأن الدلالي المتطور وهو ما توافيه صيغة أخرى غير متطورة صرفيا مثل (**أؤذي**) لما بها من صعوبة في النطق على النحو الذي اعرضنا له في مبحث الإعلال في هذه الدراسة.

٢- نودي

وقد طرأ على هذه الصيغة إعلال بالقلب، وذلك بقلب الهمزة واوا حيث كان أصلها نادى فصارت (**نودي**) وتجلت في قوله تعالى :".. **إذا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ**.."[٥٨]، في هذا الشأن أبرزت هذه الصيغة تطورنا دلاليا ملحوظا عكس لنا خصوصية النداء لفئة المؤمنين فقط لتلبية نداء صلاة الجمعة في هذا السياق القران. وقد حدد لنا صاحب التحرير والتنوير تميز النداء هنا لصلاة معينة حيث قال:"**اللام في قوله :" للصلاة" لام التعليل؛ أي نادى نداء لأجل الصلاة من يوم الجمعة فعلم أن النداء هنا هو آذان الصلاة**" [٥٩].

واتفق صاحب الكشاف مع ما ذهب إليه "**الطاهر بن عاشور**" فيما يتعلق بخصوصية الآذان هنا بقوله: **والنداء والآذان قالوا : انه الآذان عند صعود الإمام على المنبر**[٦٠].

وحدد لنا "**أبو السعود**" دورها في التطور الدلالي الخاص بقوله :**أي فعل نداء لها أي أذن لها (من يوم الجمعة) بيان لأداء تفسير لها دليل أن (من) بمعنى (في)**[٦١].

وهى بذلك تختلف فقهيا في مدى استمراريتها عن صيغة " **وَأَذِّن** " في قوله: "**وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا** "[٦٢]، حيث كان نداء عاما للحج لما يشتمل عليه المناسك والوقوف بعرفه أو صلوات: وغيرها من واجبات النداء العام المتعلق بشعيرة يشترك فيها المسلمون في وقت واحد، وليست الجمعة التي تؤدى في وقت مختلف من بلد لأخر.

وهذه الصيغة المتطورة صرفيا على الوجه السابق تظهر لنا فاعلية الصرف في إبراز الدلالة واضحة لهذا النداء عن طريق الإعلال بالقلب من خلال قلب الألف واوا في صيغة البناء المجهول فتصير"**نودي**"، ولنا أن نتخيل عدم وقوع تغير صرفي على الوجه السابق في تقريب المعنى إلى ذهن مؤمني المدينة المنورة وغيرها من قاع العالم الإسلامي ذلك بتلبيتهم لهذا النداء الخاص بالذهاب إلى صلاة الجمعة على وجه الخصوص، ولاشك أن المسلم سيجد تماهيا صوتيا بين النداءين المتصلين بالجمعة والحج، فجاءت صيغة "**نودي**" المتطورة دلاليا لتبرز لنا مفرادية صلاة الجمعة لهذا النداء دون الحج.

ولا جدال أن التطور الدلالي القرآني الخاص بهذا المعنى من العمومية إلى الخصوصية على الوجه السابق يصور لنا ضرورة التغير الدلالي في توضيح المعنى المراد.. بدعمه من تخصيص الدلالة، لما يبعدها عن المسار العام لنداء، ومن ثم دفعه إلى توجيه سامعه من المؤمنين إلى أداء صلاة الجمعة خاصة وترك حركة البيع والشراء في وقت معلوم؛ أي وقت صلاة الجمعة في إطار عموم اللفظ بعدم إجراء مثل هذه الأمر أثناء الصلاة عامة وصلاة الجمعة خاصة.

وبذلك اظهر لنا التطور الدلالي العمق الروحي لهذا النداء في صورة تحفيز المؤمنين إلى سرعة أداء صلاة الجمعة. ولولا هذا التحول الدلالي لما فهمنا التكليف الروحي في يوم الجمعة لهذا النداء الذي جاء بصيغة مبنية للمجهول، ليترك لمتلقيه تحديد مصدره الدلالي العميق، وبالتالي تكشف لنا هذه الصيغة الدالة على خصوصية المعنى السالف عن حيوية التطور الصرفي في الاضطلاع بهذا الأمر الدلالي والمتنامي على وجه العموم.

٣- المحراب:

هذه الصيغة من الصيغ التي حدثت لها إمالة لوجود كسرة بعد الألف، حيث اجتمع فيها كسرة في أولها وكسرة ما بعد ألفها(٦٣)، وذلك في قوله:"**وخرج على قومه من المحراب**"(٦٤)وهذا التطور الصرفي بواسطة الإمالة في صيغة "**المحراب**" دفع دلالتها العامة في مسار الخصوصية في قوله تعالى:" **كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا**"(٦٥).

ومن المعلوم أن المحراب من الألفاظ التي أضفي عليها الإسلام معنًى جديدًا **"فالمحراب مشتق من الحرب لأن المتعبد كأنه يحارب الشيطان فيه، فكأنهم جعلوا ذلك المكان إله لمحاربة الشيطان ثم أطلق المحراب عند المسلمين على موضع كشكل نصف قبة في طول قائمة ونصف يجعل بموضع القبلة؛ ليقف فيه الإمام للصلاة، وعند تفسير قوله تعالى:"ويعملون ما يشاء من محاريب"**(٦٦) **نجد أن المحاريب جمع محراب وهو الحصن، الذي يحارب فيه العدو فأطلق على القصر الحصين ثم أطلق المحراب على الذي يختلي فيه العبادة، فهو بمنزلة المسجد الخاص قال تعالى:" وهو قائم يصلي في المحراب"**(٦٧).

أما الدلالة الأصلية لكلمة "**المحراب**" فتشير إلى معنى القصر أو الحصن الذي يحارب فيه العدو، ثم توسع في استعماله ليطلق على المكان الذي يختلي فيه للعبادة، ومجيء الإسلام وبناء المساجد استعمل ليدل على الموضع الذي يقف فيه الإمام.

وعلى هذا يكون هذا اللفظ من الألفاظ التي تبدل في معناها، وقد لخص "**الفيروزابادى**" هذه المعاني في قاموس مادة(**حرب**)(٦٨) و"**الراغب الاصفهانى** " في مفرداته(٦٩).

"**وكروزويل**" وهو يقدم التفسير اللغوي لكلمة "**المحراب**" عند العرب :

"وردت هذه الكلمة في أشعار العرب قديما، غير أنها لم يكن لها معنى ديني في تلك الأيام، بل كانت تدل على أشياء دنيوية"(٧٠).

وهكذا يلحظ بعد ما سقناه من ألفاظ مختلفة أن الإسلام أعطاها مفهومنا مستحدثا خاصا لم يكن مستعملا عند العرب، وهذا لا يعنى أنها وضعت وضعا جديدا، وإنما جاءت على طريقة ما ألفه العرب، ووسعته لغتهم مجازا ونقلا، **"فهذه الألفاظ كانت معروفة عند أهل اللغة بمعناها اللغوي قبل أن يتوسع الشارع في دلالتها على المعاني الأخرى"**(٧١).

ويتبين لنا مما سبق أن التطور الصرفي لكلمة "**المحراب**" بواسطة الإمالة قد أسهم في أحداث تغير دلالي يتسع على الوجه السابق بنقله لهذه الصيغة من دائرة الضيق الدلالي إلى معنى

رحب ليواكب الإيحاءات التي حملتها هذه اللفظة بعد نزول القران الكريم ومن ثم تصلح لكل زمان ومكان.

ومن ناحية أخرى فإن مجيء صيغة (**المحراب**) غير ممالة ومن ثم لا تعبر عن خصوصيتها الدلالية في السياق القرآني بعد أن كانت عامة قبل نزول القرآن الكريم.

ثالثا :الألفاظ التي انتقلت دلالتها لسبب من الأسباب:

وهو ما اصطلح عليه عند علماء اللغة المحدثين بانتقال الدلالة، والمقصود به "**أن ينتقل اللفظ من مجال دلالته إلى مجال دلالة أخرى لعلاقة أو مناسبة واضحة بين الدلالتين**"(٧٢). ولهذا النوع من التطور الدلالي ثلاث إشكال، وهى الانتقال عن طريق الاستعارة، والانتقال عن طريق المجاز، والانتقال عن طريق الكناية(٧٣).

ونركز في هذا المقام على التطور الدلالي من خلال الانتقال بالكناية لوجود مثال له في القران الكريم ناتجا عن التطور الصرفي للكلمة لموضوع بحثنا هذا.

وقبل تناول ذلك النوع من التطور الدلالي يجدر بنا أن نحرر اصطلاح الكناية؛ لتكون توطئة لبيان قيمتها اللغوية، فضلا عن دورها البلاغي في إثراء المعنى الحقيقي بمعنى دلالي جديد يعكس في الوقت نفسه دينامية التغير الصرفي الذي لحق بالكلمة، وبالتالي نلحظ هنا حيوية الكناية في الاضطلاع بمثل هذا الدور الدلالي.

وعموما فان الكناية في اصطلاح علماء البيان **هي لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز أردت المعنى الأصلي** (٧٤).

١– الغائط

ومن تلك الألفاظ التي حدث لها تطور دلالي بطريق الانتقال بالكناية ونابجة في الوقت نفسه عن التغير الصرفي لها لفظة "**الغائط**". والتي وقع لها إعلال بالقلب، وذلك بقلب الواو همزة، واصلها "**غوط**" بخلاف غائظ فأصلها "**غيظ**".

ومن الجدير بالذكر أن التطور الدلالي لصيغة "**الغائط**" ناتج عن التطور الصرفي والبلاغي بواسطة الانتقال بالكناية "**إذ إن الغائط كناية عن قضاء الحاجة البشرية، شاع في كلامهم التكنى وذلك بمشابهة الصليح، والغائط المنخفض من الأرض، وما غاب عن البصر يقال: غاط في الأرض إذا غاط يغوط، فهمزة منقلبة عن الواو، فكانت العرب يذهبون عند قضاء الحاجة إلى مكان منخفض من جهة الحي بعيد عن بيوت سكانهم فيكنون عنه يقولون : ذهب الى الغائط او تغوط فكانت كناية لطيفة**"(٧٥).

وهذا يعنى أن تلك الصيغة انتقلت دلالتها الحقيقية الأصلية المعبرة عن المكان المنخفض إلى دلالتها المجازية حيث دلت على قضاء الحاجة على حد قول الدكتور "**انجليرس طعمة**" :

"ثم أصبح يدل على قضاء حاجة الإنسان من الخبائث إن قال تعالى : " أو جاء احد منكم من الغائط أو لامستم النساء"(٧٦)،(٧٧)

وندرك قيمة الانتقال بالكناية للتغير الدلالي لصيغة الغائط المتطورة صرفيا في التعبير عن الحدث المخصوص دون سواه على النحو الذي ذهب إليه "**ابن عاشور**":

" إنها غادرت المعنى الأول وهوا لمنخفض من الأرض حتى صارت تشير إلى المعنى المخصوص حقيقة فيها؛ إذ لا يفهم عند إطلاق هذا اللفظ إلا المعنى الذي نقل عنه"(٧٨)

ويُعرف هذا العامل عند بعض اللغويين بـ (**اللامساس**) وهو التماس التلطف في استعمال بعض الدلالات اللغوية التي تخضع لثقافة المجتمع ونمط تفكيره في استعمال الألفاظ المكروهة، ومن تلك الألفاظ (**الغائط**) وهى من الألفاظ الدائمة التطور والتغير في دلالاتها تلك التي تومئ إلى التبول أو التبرز أو العملية الجنسية وأعضاء التناسل فلا يكاد لفظ منها ينتشر حتى يمجه الذوق الاجتماعي ثم صارت تشير إلى قضاء حاجة الإنسان إلى الخبائث ومن ثم يتقبله المجتمع إذ قال الله تعالى :" **أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء**"(٧٩)،(٨٠).

ولولا التطور الصرفي لما استطعنا استيعاب هذا التطور الدلالي قبل قلب الواو همزة، وبحدوثه تغير معناه إلى مدلول جديد اكتسبه جراء هذا التحول الدلالي الناتج عن التطور الصرفي،

فإذا استعملها القرآن وهى غير متطورة صرفيا مثل (**غوط**) ما أشارت إلى معناها الجديد الذي يقصده القرآن الكريم.

ولا شك أن التطور الدلالي بمظاهرة السابقة والناجمة عن التغير الصرفي، قد أبان لنا دور الإسلام وقت نزول القرآن الكريم في تطوير دلالات ألفاظ اللغة العربية؛ ليعرف متلقي القرآن في المدينة المنورة خاصة، والعالمين في كل زمان ومكان أن القرآن كتاب معجز، وبالتالي يتبصر نواحي إعجازه المختلفة.

ومبعث تقريرنا لهذا الرأي أن الإسلام أعطاها مفهوما جديدا عن التي كانت عليه قبل التطور الصرفي لها والذي طرأ عليها فكانت ضيقة دلالية أوسعها الإسلام مثل (**القائم والمنتهى**)، فصارت متسعة دلالية أو ضيقها مثل (**المحراب ونودي**) بعد أن كانت متسعة في الجاهلية لتلاءم الذائقة اللغوية، وكذلك الحالة الروحية لمتلقي القرآن الكريم في كل مكان وزمان بعد نزوله وهى مختلفة دلاليا قبل نزوله علي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وكذلك نقل الإسلام بعض الصيغ إلى مجال آخر عن طريق الكناية مثل (**الغائط**) فدلت على مفهوم جديد نظرا لأن التطور الصرفي ينحو منحى السهولة واليسر في نطق تلك الصيغ بغية الاقتصاد في المجهود العضلي في النطق عند كل سامع للقرآن الكريم في كل زمان ومكان.

حقا إن التطور الدلالي الناتج عن التطور الصرفي يوضح الحيوية الصوتية في اللغة العربية.

وختاما فإن هذه الدراسة تعد مقاربة لغوية للتطور الدلالى بمظاهره السابقة والناجمة عن التطو الصرفى، حيث أحدث الإسلام بكتابه المنزّل على أمة الإسلام تطورا حضاريا، نتج عنه تطور صرفى ادركه أهل المدينة خاصة والعالمون عامة، كان له شواهد دلالية في المنظومة اللغوية العربية.

وعموما تمخضت عن هذه البحث عدة نتائج تمثلت فيما يلى :-

١- أبانت الدراسة أن التطور الدلالى إفراز منطقى للتطور الصرفى الذى أحدثه القرآن الكريم في لغة العرب تبعا للتحول اللغوى الناشئ عن التغيير الراديكالى في عقيدة أهل قريش بعد إسلامهم، وخير البرهان في ذلك الشعر في صدر الإسلام وما صورة من ألفاظ و معانى لم تكن

مستعمله في الجاهلية ؛ وبالتالي لم ترد في شعرهم أمثال التقوى والصلاة وبمعناها الفقهى وغيرها من الألفاظ الجديدة التي دخلت القاموس اللغوى لأهل قريش بعد إسلامهم وكانت ناتجة أيضاً عن تطور صرفي، وهو بذلك يجسد لنا خصائص اللغة القرآنية المتطورة صرفيا ودلاليا.

٢- أكدت الدراسة أن أسباب وعوامل التطور الصرفى متنوعة ما بين أسباب حضارية واجتماعية ولغوية (صرفية) وأنها قد تضافرت لتنتج لنا التطور الدلالى القائم على تطور صرفى وكانت غايتهم استبدال المنظومة المعرفية البعيدة عن سمو العقيدة عن منظومة حديثة تنهض على رُقيّ المقصد الروحي من خلال اللغة المتطور صرفيا ونحويا.

٣- لقد تجلى التطور الدلالي الناتج عن التطور الصرفى في مسارات متباينة فلاحظنا أن القرآن في تطوره الدلالي قد وسع ما كان ضيقا كما في صيغة (القائم). كما أن القرآن الكريم قد ضيق ما كان متسعا مثل لفظة المحراب، فقد وقع لها تطور الصرفي بواسطة الإمالة جعلها تدل على المعنى الجديد. كما أنه قد نقل بعض الكلمات من مجال إلى آخر عن طريق الكناية ؛ مثلما حدث من تطور دلالي لصيغة (الغائط) التي وقع لها تطور صرفى بواسطة الإعلام بالقلب، ولولا التطور الصرفى لما دلت تلك الصيغة على هذا المعني، فلو جاءت مثلا في مرحلة غير متطورة صرفيا مثل (غوط) ما دلت على هذا المعنى الجديد المتطور دلاليا (أي قضاء الحاجة في الإسلام).

الهوامش:

[1] - د./ على عبد الواحد وافى: علم اللغة، مطبعة نهضة مصر، ٧٦.

[2] – دكتور/ انجيريس طعمة: دراسة بعنوان خصائص التطور الدلالى القران الكريم ؟؟؟؟ العدد ٧٢، ٢٠١٥ ص ٢٩ .

[3] – الصافات /٨٣

[4] – فرديناند سوسير: علم اللغة العام، ترجمة: يونيل يوسف عزيز، مطبعة بيت الموصل، ١٩٨٨، ص ١٧٣.

[5] – الصاحبي: المرجع السابق نفسه، ص ٩

[6] – دكتور/ فايز الداية: علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، دمشق، دار الفكر، ١٩٣٩، ص ١٧.

[7] – فرديناند سوسير: في علم اللغة العام، ترجمة يونيل يوسف عزيز، العراق، مطبعة بيت الموصل،١٩٩٨، ص ١٧٤ .

• وهذا النوع من التطور ينبثق من التطور الصرفي الذى عرضنا له في اطار فصل الاعلال والابدال والتطور الصرفي للكلمة في القرآن الكريم.

[8] – لسان العرب مادة (قرأ)

[9] –– فندريس: اللغة، ترجمة: عبد الحميد الدواخيلي، محمد القصاص، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٦، ص ٢٤١.

[10] – المائدة / ٤٨.

[11] – لسان العرب: مادة (شرع).

[12] – الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، تونس، دار سحنون، ٢١٥/٤.

[13] – القرة: ١٨٣

[١٤] – مريم: ٣١.

[١٥] – د / ابراهيم انيس: دلالة الالفاظ، المرجع السابق نفسه، ص ١٣٤ وما بعدها.

[١٦] – لسان العرب: مادة (وحي)

[١٧] النساء/١٦٣

[١٨] – دكتور رمضان عبد التواب: لحن العامة والتطور اللغوي، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠٠، ص ٥٨.

[١٩] – دكتور فايز الداية: علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، دمشق، دار الفكر، ص ٢٨٩.

[٢٠] – ابن فارس الصاحبي، السابق نفسه، ص ٣٩

- هو ان يشابه نسبيا في هذا الصدد التطور الصرفي في تتبعه للحركة البطيئة في بنية الكلمة من وضع الى اخر

[٢١] – د / على عبد الواحد وافي: علم اللغة، القاهرة، نهضة مصر، ط١، ٢٠٠٤، ص ٣١٤.

- ونفصل القول في هذا الأمر عند الحديث عن تجليات التطور الدلالي فيما يتعلق بتعميم الدلالة .

- وهو عامل اقرب الى التطور الصرفي

[٢٢] – النور/٦١

[٢٣] – الرازي: مختار الصحاح: تحقيق: يوسف الشيخ، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٧٠، مادة (آمن).

[٢٤] – البقرة /١٩

[٢٥] – المزهر: ١/١٣٤

[٢٦] – د / مهدى اسعد عراض: جدل اللفظ والمعنى، دار وائل للنشر، عمان، ط١، ٢٠٠٥، ص ١٤١.

[٢٧] – حاكم مالك الزيادي: الترادف في اللغة، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٠، ص ٢٣.

[٢٨] – الرعد/٣٣

[٢٩] – ال عمران/٧٥

[٣٠] – الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ١٥٠/٣.

[٣١] – لسان العرب ، ٥٠/١.

[٣٢] – السابق نفسه، ٥٠/١

[٣٣] – جمال الدين بن محمد القاسمي: محاسن التأويل، المحقق: محمد باسم عبيرة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ، ٢٨٦/٦.

[٣٤] – النازعات: ٤٢: ٤٤

[٣٥] – النجم /٤٢

[٣٦] – الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ٩٦/٣٠.

[٣٧] – الرحمن/٧

[٣٨] – لسان العرب: مادة (وزن)

[٣٩] – المرجع السابق نفسه: مادة (وزن) بحر الكامل.

[٤٠] – ديوان الاعشي: تحقيق محمد محمد حسين، القاهرة، مكتبة الاداب، ص ٥٥

[٤١] – لسان العرب: مادة (وزن) والبيت من بحر

[٤٢] – الرحمن/٣

[٤٣] – المطففين / ٣

[٤٤] – الكهف/١٠٥

[٤٥] – الاعراف / ٨، ٩.

[٤٦] الرحمن ٦-٨

[٤٧] – الزمخشرى: الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل، تعليق: مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث، ودار الكتب العلمية، بيروت، ١٨٨٧، ١٠٧/٢٧.

[٤٨] – ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، دار التراث، القاهرة، ٢٧٠/٤.

[٤٩] – الحجرات/١٤

[٥٠] – ابو السعود العمادي: ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم، دار المصحف بمكة، مطبعة عبدالرحمن محمد، ط١، ١٩٧٠، ١٢٣/٨.

[٥١] – ابو حيان، البحر المحيط، تحقيق: أحمد عبد الموجود وآخرين، بيروت، دار الكتب العلمية، ١١٦/٨.

[٥٢] – السيوطي، شرح: عقود الجمان في علم المعاني والبيان، مطبعة عيسى الحلبي، ص

[٥٣] – العنكبوت /١٠

[٥٤] – التحرير والتنوير، ٢١٥/٢.

[٥٥] – التحرير والتنوير، ٢١٦/٢٠. (بتصرف)

[٥٦] – الكشاف، ٨١٤/٢٠.

٣– آل عمران /١٧٣

[٥٨] – الجمعة /٩

[٥٩] – التحرير والتنوير ٢١٩/٩

[٦٠] – الكشاف ١٠٠٦/٩

[٦١] – تفسير ابو السعود ٢٤٩/٨ .

[٦٢] – سورة الحج / ٢٧.

[٦٣] – د عبد الفتاح إسماعيل شلبى: الدراسات القرآنية واللغوية، الإمالة في القراءات واللهجات، بيروت، دار الشروق للنشر، ص ٣٣١.

[٦٤] – " مريم/١١

[٦٥] – ال عمران /٣٧

[٦٦] – سبأ /١٣

[٦٧] – آل عمران/٣٩

[٦٨] – الفيروزآبادي: القاموس المحيط، تحقيق التراث، في مؤسسة الرسالة تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط٢، ١٤٢٦هـ /٢٠٠٥، مادة (حرب)

[٦٩] – الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان علوان الدوارة، دمشق، دار القلم، ط١، ١٤١٢هـ، ص ٢٢٥.

[٧٠] – فرح حسن يوسفي: حكم الصلاة في المحراب بين الجواز والارتياب، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٨.

[٧١] – ابراهيم انيس: دلالة الالفاظ: المرجع السابق نفسه، ص ١٦١.

[٧٢] – الزيادى: الترادف في اللغة، بغداد، دار الحرية، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص ٨٥.

[٧٣] – د. إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، القاهرة، مكتبة الانجلو، ص ١٦١.

[٧٤] – الذهبي: التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، ٣٧٩/٢.

[٧٥] – التنوير والتحرير: ٦٦/٥

[٧٦] – النساء، ٤٣

[٧٧] – انجليريس يوسف طعمة: دراسة بعنوان، خصائص التطورا لدلالي فى القرآن الكريم، منشورة بمجلة آداب البصرة، عدد ٧٢، سنة ٢٠١٥، ص ٣٤.

[٧٨] – التحرير والتنوير: ٥/٦٦.

[٧٩] – النساء / ٤٣.

[٨٠] – د / احمد مختار عمر: علم الدلالة، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٨، ص ٤٢.

المراجع

١. إبراهيم انيس: دلالة الالفاظ. مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٠.

٢. ابن فارس: الصاحبى، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٩٨.

٣. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، دار التراث، القاهرة.

٤. ابن منظور: لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٩٧١.

٥. أبو السعود العمادى / ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار المصحف بمكة، مطبعة عبدالرحمن محمد، ط١، ١٩٧٠.

٦. أبو حيان، البحر المحيط، تحقيق: أحمد عبدالموجود وآخرين، بيروت، دار الكتب العلمية.

٧. أحمد مختار عمر: علم الدلالة، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٨.

٨. الاصفهانى، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان علوان الدوارة، دمشق، دار القلم، ط١، ١٤١٢هـ.

٩. انجليريس يوسف طعمة: دراسة بعنوان، خصائص التطور الدلالى في القرآن الكريم، منشورة بمجلة آداب البصرة، عدد ٧٢، سنة ٢٠١٥.

١٠. جمال الدين بن محمد القاسمي: محاسن التأويل، المحقق: محمد باسم عبيرة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨ هـ.

١١. حاكم مالك الزيادي: الترادف في اللغة، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٠.

١٢. ديوان الاعشى: تحقيق محمد محمد حسين، القاهرة، مكتبة الآداب.

١٣. الذهبي: التفسير والمفسرون، مكتبة وهبه، القاهرة.

١٤. الرازي: مختار الصحاح: تحقيق: يوسف الشيخ، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٧٠.

١٥. رمضان عبدالتواب: لحن العامة والتطور اللغوى، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠٠.

١٦. الزمخشرى: الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل، تعليق: مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث، ودار الكتب العلمية، بيروت، ١٨٨٧.

١٧. الزيادى: الترادف في اللغة، بغداد، دار الحرية، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

١٨. السيوطى: المزهر في علوم اللغة، مطبعة عيسى الحلبي.

١٩. السيوطى، شرح: عقود الجمان في علم المعانى والبيان، مطبعة عيسى الحلبي.

٢٠. الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، دار سحنوان، تونس، ١٩٨٠.

٢١. عبدالفتاح إسماعيل شلبى: الدراسات القرآنية واللغوية، الإمالة في القراءات واللهجات، بيروت، دار الشروق للنشر.

٢٢. على عبد الواحد وافى: علم اللغة، مطبعة نهضة مصر.

٢٣. على عبدالواحد وافي: علم اللغة، القاهرة، نهضة مصر، ط١، ٢٠٠٤.

٢٤. فايز الداية: علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، دمشق، دار الفكر.

٢٥. فرح حسن يوسفي: حكم الصلاة في المحراب بين الجواز والارتياب، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٦. فرديناند سوسير: علم اللغة العام، ترجمة: يونيل يوسف عزيز، مطبعة بيت الموصل، ١٩٨٨.

٢٧. فندري: اللغة، ترجمة: عبدالحميد الدواخيلي / محمد القصاص، مكتب الأنجلو.

٢٨. الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تحقيق التراث، في مؤسسة الرسالة تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط٢، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥.

٢٩. مهدى أسعد عراض: جدل اللفظ والمعنى، دار وائل للنشر، عمان، ط١، ٢٠٠٥.